الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله أسراره الرباني

المستنسخ : عارف خالدي

(وإنك لتدعوهم إلى صراط مستيقيم)

بســـــــــــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، مغيث المستغيثين، بسيد المرسلين ، وسائر خواصه المقربين ، الذي اصطفى من عباده النبيين والصالحين ، ووفق لإقامة دينه من اصطفاه من العلماء العاملين والصلحاء الصالحين ، وإصطفى منهم حبيبه الأعظم سيدنا محمد سيد الخلائق أجمعين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد حبيب الحق أفضل الوسائط بينه وبين الخلق، وعلى جميع النبيين وآلهم وصحبهم وسائر عباد الله الصالحين .

وبعد فهذه نبذة من سيرة الإمام الأعظم الرباني ،والقطب الأ فخم الصمداني ، مولانا الشيخ عبد القادر الجيلاني، قدس الله أسراره العلية ، وأفاض علينا من بركاته وفيوضاته السمية ، نقلناها ولخصناها وجمعناها من مصادرها الموثوقة ومراجعها المدقوقة . بواسطة الشاملة الرا بعة شكر الله سعي جامعهاووفقهم وإيانا لما يحب ويرضى .

: الإمام عبد القادر الجيلاني وجهوده في الدعوة الشعبية والإصلاح العام :

الدعوة الشعبية والإصلاح العام :

من الملاحظات المهمة في دراستي لفترة الحروب الصليبية أن انتصارات نور الدين وصلاح الدين ساهمت فيها عوامل متعددة منها على مستوى الخلافة نفسها ومنها على المستوى الشعبي، فقد أخذت مؤسسة الخلافة تسترجع صلاحياتها وتقوى على ما كانت عليه في العهد السلجوقي الأول وكذلك مؤسسة الوزارة العباسية خصوصاً في عهد يحي بن هبيرة، وسيأتي الحديث عن ذلك في محله بإذن الله تعالى وفي هذا المبحث ستتضح بإذن الله تعالى جهود عبد القادر الجيلاني في الدعوة الشعبية والإصلاح العام فقد كانت حركته الشعبية معاصرة لعماد الدين ونور الدين محمود، وتعتبر حركة عبد القادر الجيلاني من الروافد المهمة في حركة الجهاد والمقاومة التي

قادها نور الدين وخصوصاً في القطاع الشعبي العريض وفي عاصمة الخلافة العباسية بغداد، لقد كانت عامّة الجماهير في حاجة شديدة إلى شخصية روحية رفيعة، تكون على تواصل بالشعب وطباقاته وجماهيره لكي يؤثر في المجتمع بدعوته ومواعظه وتزكيته (١) وتوقظ في النفوس الإيمان وتثير عقيدة الآخرة، وتحرك في القلوب الحب لله والحنين إليه، وتحث على الطموح وعُلُّو الهمّة وبذل الجهد في الحصول على علم الله الصحيح وعبادته ونيل رضوانه والمسابقة إلى سبيله وتدعو إلى التوحيد الكامل، والدين الخالص (٢) ، ولقد وجد هذا المصلح الشعبي في شخص الشيخ عبد القادر الجيلاني الذي ظهر في بغداد في آخر القرن الخامس، وتسلَّم الزعامة الدينية وعاش نحو قرن فرداً فريداً في الدعوة إلى الله، وأثر في العالم الإسلامي تأثيراً كبيراً (٣)، واستطاع أن يؤسس مدرسة ساهمت مع الزنكيين في تحمل المسؤولية ومواجهة التحديات العقائدية والفكرية، والاقتصادية والاجتماعية ساهمت في إعداد

---

(١) رجال الدعوة والفكر (٢٣٥/١).

(٢) المصدر نفسه (٢٣٧/١).

(٣) المصدر نفسه (٢٣٩/١).

جيل المواجهة للخطر الصليبي في البلاد الشامية (١) ، فقد استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود من سبقوه وتعاليمهم وخصوصاً الإمام الغزالي الذي قام بدور عظيم في تاريخ الإصلاح والتجديد - وقد فصلت ذلك في كتابي دولة السلاجقة والمشروع الإسلامي لمقاومة الغزو الصليبي - وكان الرجل المطلوب للدفاع عن الإسلام عند هجوم الفلسفة اليونانية وإلحاد الباطنية، وانحراف العلماء، (٢)، وقد استفاد عبد القادر الجيلاني من جهود وتراث الغزالي وحّول تلك التعاليم إلى مناهج مبسطة يفهمها العامّة وطلاب العلم والعلماء، يقول الدكتور ماجد الكيلاني : والواقع أن التحليل الدقيق للنظام التربوي الذي طبقة عبد القادر الجيلاني يكشف عن تأثر كبير بالمنهاج الذي اقترحه الغزالي، فقد وضع الشيخ عبد القادر منهاجاً متكاملاً يستهدف إعداد الطلبة والمريدين علمياً وروحياً واجتماعياً، ويؤهلهم لحمل رسالة

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كذلك توفر لهذا المنهاج فرص التطبيق العملي في الرباط المعروف باسم الشيخ عبد القادر حيث كانت تجِري التطبيقات التربوية والدروس والممارسات الصوفية ويقيم الطلبة المريديون (٣) وتعتبر شخصية الشيخ عبد القادر الجيلاني ومدرسته وتعاليمه ذات أثر ملموس في نهوض الأمة في عهد الزنكيين الأيوبيين ولذلك بإذن الله تعالى سنسلط الأضواء على شخصيته ومدرسته وتعاليمه.

أولاً : اسمه ونسبه ورحلاته في طلب العلم وشيوخه :

---

(١) لا طريق غير الجهاد لتحرير المسجد ص ٣٢٥.

(٢) رجال الفكر والدعوة (١/٢٣٥).

(٣) هكذا ظهر جيل صلاح الدين نقلاً عن لا طريق غير الجهاد ص ٣٣٩.

١- **اسمه** : هو عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست بن أبي عبدالله بن يحي الزاهد بن محمد بن داوود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض، ويلقب أيضاً بالمجل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه (١) . وبعض الناس ينكر نسبته إلى علي بن أبي طالب (٢) ويبدو أن الصحيح صحة انتسابه إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - لضعف أدلة الطاعنين وندرتهم وقوة أدلة المثبتين وكثرتهم (٣) .

٢- **كنيته ولقبه** : تكاد تجمع كتب السير والتراجم على أن كنيته أبو محمد ونسبته الجيلاني أو الجيلي (٤). وأما الألقاب التي أطلقت عليه فهي كثيرة توحي بدلالات متعددة وهي تشبه في عصرنا الإجازات العلمية والأوسمة التي تمنح للعلماء والعظماء إقراراً بفضلهم وبيانا لعلو منزلتهم، فمن الألقاب التي أطُلقت عليه لقب الإمام، أطلقه عليه السمعاني فقال إمام الحنابلة وشيخهم في عصره. نقله عنه ابن رجب (٥) . ومنها لقب شيخ الإسلام أطلقه عليه الذهبي (٦).

٣- ولادته : ولد الشيخ عبد القادر في بلدة جيلان وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان ويقال لها إكيل وكيلان، والنسبة إليها جيلي وجيلاني كيلاني وذلك سنة إحدى وسبعين وأربعمائة للهجرة (٧) وقيل : إنه ولد سنة سبعين وأربعمائة هجرية (٨).

---

(١) أعلام سير النبلاء (٤٣٩/٢٠) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٢٧.

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٩٠/١).

(٣) الشيخ عبد القادر الجيلاني د. سعيد القحطاني ص ٢٨.

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨.

(٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ٢٨.

(٦) سير أعلام البنلاء (٤٣٩/٢٠).

(٧) سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠).

(٨) بهجة الأسرار للشطنوفي ص ٨٨.

٤- طلبه للعلم ورحلاته : رحل الشيخ عبد القادر الجيلاني من بلده ومسقط رأسه جيلان إلى بغداد حيث دخلها سنة ٤٨٨ه وعمره آنذاك ثماني عشرة سنة والتقى في بغداد بمجموعة من مشاهير العلماء الذين نهل من مناهلهم واستفاد من معارفهم حتى أصبح عالماً في مختلف العلوم إذ يصفه الذهبي في ترجمته له بأنه : الشيخ الإمام العالم الزاهد العارف القدوة شيخ الإسلام وعلم الأولياء ومحي الدين (١) ، وكما يصفه ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة بأنه : شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف (٢)، وقد أمضى في طلب العلم اثنين وثلاثين سنة درس فيها مختلف علوم الشريعة ثم جلس للتعليم والوعظ سنة ٥٢٠ه (٣) . وكان خلال فترة طلبه للعلم رغم طولها يعاني من ضيق العيش ويكابد مرارة الحرمان إلا أن ذلك لم يفت في عزيمته ولم يعوقه عن المثابرة في طلب العلم (٤) ، وقد نقل ابن رجب ما يصَّور لنا تلك المعاناة من كلان

الشيخ نفسه حيث يقول : وكنت أقتات الخرنوب (٥) ، الشوك وقمامة البقل وورق الخس من جانب النهر والشط وبلغت الضائقة في غلاء نزل ببغداد أن بقيت أياماً لم آكل طعاماً بل كنت أتتبع المنبوذات أطعمها يوماً من شدة الجوع لعلي أجد ورق الخس أو البقل، أو غير ذلك، فأتقوت به فما ذهبت إلى موضع إلاَّ وغيري قد سبقني إليه، وإن وجدت أجد الفقراء يتزاحمون عليه فأتركه حياءاً، فرجعت أمشي وسط البلد لا أدرك منبوذاً إلا وقد سبقت إليه حتى وصلت إلى مسجد ياسين بسوق الرياحين ببغداد وقد أجهدني الضعف وعجزت عن التماسك فدخلت إليه ووقعت في جانب منه وقد كدت أصافح الموت، إذ دخل شاب أعجمي ومعه خبز صاف وشواء وجلس يأكل فكنت أكاد كلما رفع يده باللقمة أن أفتح ـــــــ

---

(١) سير أعلان البنلاء (٤٣٩/٢٠).

(٢) ذيل طبقة الحنابلة لابن رجب (٢٩٠/١).

(٣) المصدر نفسه (٢٩١/١).

(٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٣٢.

(٥) الخرنوب : شجر بري ذو شوك ذو حمل كالتفاح لكنه بشع.

ـــــــ فمي من شدة الجوع حتى أنكرت ذلك على نفسي فقلت : ما هذا وقلت ما ههنا إلاَّ الله أو ما قضاه عليّ من الموت إذا التفت إليّ العجمي فرآني فقال : بسم الله يا أخي فأبيت فأقسم عليّ فبادرت نفسي فخالفتها فأقسم أيضاً فأجبته فأكلت متقاصراً، فأخذ يسألني ما شغلك ومن أين أنت وبمن تُعرف فقلت : أنا متفقه من جيلان فقال : وأنا من جيلان فهل تعرف شاباً جيلانياً يسمى عبد القادر فقلت : أنا هو فأضطرب وتغير وجهه وقال : والله لقد وصلت إلى بغداد ومعي بقيت نفقة لي فسألت عنك فلم يرشدني أحد ونفدت نفقتي ولي ثلاثة أيام لا أجد ثمن قوتي إلاّ مما كان لك معي وقد حلَّت لي الميته وأخذت من وديعتك هذا الخبز والشواء، فكل طيباً فإنما هو لك وأنا ضيفك الآن بعد أن كنت ضيفي فقلت له : وما ذاك فقال : أمك وجهّت لك معي

ثمانية دنانير فاشتريت منها هذا للاضطرار فأنا معتذر إليك فسكتُّه وطيبت نفسه ودفعت إليه باقي الطعام وشيئاً من الذهب برسم النفقة فقبله وانصرف (١).

٥- شيوخه : ونتحدث عن بعضهم :

أ- أبو سعيد : المبارك بن علي المخرمي شيخ الحنابلة تفقه بالقاضي أبي

يعلي وبنى مدرسة باب الأزج درّس بها بعده تلميذه الشيخ عبد القادر الجيلاني بعد أن طوَّرها وأدخل عليها بعض التوسعة والتجديد، وكان نزيهاً عفيفاً، وقد فتحت عليه الدنيا، فبنى داراً وحماماً وبستاناً، مات سنة ٥١٣ه.

---

(١) الذيل عن طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٩٨/١).

ب- أبو الوفاء علي بن عقيل بن عبد الله البغدادي : الإمام العلامة

البحر شيخ الحنابلة الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف ولد سنة ٤٣١ه وكان يتوقد ذكاءاً وكان بحر معارف وكنز فضائل لم يكن له في زمانه نظير (١) . وقد نقل عنه الذهبي قوله : عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة وقصر محبتي على العلم وما خلطت لعاباً قط ولا عاشرت إلاَّ أمثالي من طلبة العلم وأنا الآن في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن العشرين وبلغت لاثنتي عشرة سنة وأنا اليوم لا أرى نقصاً في الخاطر والفكر والحفظ وحدَّة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية إلاَّ أن القوة ضعيفة (٢) . قال ابن الجوزي : كان ابن عقيل ديناً حافظاً للحدود توفي له ابنان فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه وكان كريماً ينفق ما يجد وما خلفَّ سوى كتبه وثياب بدنه توفي سنة ٥١٣ه (٣) ، وينقل الذهبي عن أبي المظفر سبط ابن الجوزي قول ابن عقيل : حججت فألتقطت عقد لؤلؤ في خيط أحمر فإذا شيخ أعمى ينشده ويبذل لملتقطه مائة دينار فرددته عليه فقال : خذ الدنانير فامتنعت وخرجت إلى الشام وزرت القدس وقصدت بغداد فأويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع فقدموني فصليت بهم فأطعموني وكان أول رمضان فقالوا : إمامنا توفي فصل بنا هذا الشهر ففعلت فقالوا : لإمامنا بنت فتزوجت بها وأقمت معها سنة

وأولدتها ولداً ذكراً فمرضت في نفاسها فتأملتها يوماً فإذا في عنقها العقد بعينه بخيطه الأحمر فقلت لها : لهذا قصة، وحكيت لها، فبكت وقالت : أنت هو والله لقد كان أبي يبكي : ويقول : اللهم أرزق ابنتي مثل الذي رد العقد عليَّ وقد استجاب الله منه ثم ماتت فأخذت العقد والميراث وعدت إلى بغداد (٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٢٨/١٩).

(٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٣٨.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٤٦/١٩).

(٤) المصدر نفسه (٤٤٧/١٩).

ج- **حماد بن مسلم الدباس** : كان الشيخ عبدالقادر من تلامذته (١) وقد أثنى ابن تيمية على الجيلاني وشيخه حماد حيث قال : فأمر الشيخ عبد القادر وشيخه حماد الدباس وغيرهما من المشايخ أهل الاستقامة رضي الله عنهم : بأنه لا يريد السالك مراداً قط وأنه لا يريد مع إرادة الله عز وجل سواها بل يجري فعله فيه فيكون هو مراد الحق (٢).

ح- **أبو محمد جعفر بن أحمد البغداي السراج** : الشيخ البارع المحدث المسند بقية المشايخ كتب بخطه الكثير وصنَّف الكتب كان صدوقاً ألفَّ في فنون شتَّى وكان ممن يفتخر برؤيته ورواياته لديانته ودرايته ثقة مأمون عالم صالح ولد سنة ٤١٧ه وتوفي سنة ٥٠٠ه (٣).

س- أبو عبد الله يحي بن الإمام أبو علي الحسن بن أحمد بن البناء البغدادي الحنبلي : كان الحافظ عبد الله بن عيسى الأندلسي يثني عليه ويمدحه ويطريه ويصفه بالعلم والفضل وحسن الأخلاق وترك الفضول وعمارة المسجد وملازمته ولد سنة ٤٥٣ه وتوفي سنة ٥٣١ه (٤). هؤلاء من أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم وكان لهم الأثر الكبير في حياته (٥).

---

(١) المصدر نفسه (٤٤٩/١٩).

(٢) فتاوى ابن تيمية (٤٥٥/١٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٢٨/١٩).

(٤) المصدر نفسه (٦/٢٠).

(٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ٤٣.

٦- مكانته العلمية : ويكفي في معرفة مكانة الشيخ عبد القادر الجيلاني

العلمية ثناء شيخ الإسلام ابن تيمية عليه، فقد شهد ابن تيمية للشيخ عبد القادر بأنه من الشيوخ الكبار (١). ثم شهد له بأنه من أعظم مشايخ زمانه في الأمر بالتمسك بالشريعة الغراء فيقول : والشيخ عبد القادر ونحوه من أعظم مشايخ زمانهم أمراً بالتزام الشرع والأمر والنهي وتقديمه على الذوق والقدر من أعظم المشايخ أمراً بترك الهوى والإرادة النفسية (٢) . وقال القاضي أبو عبد الله المقدسي، قال : سمعت شيخنا موفق الدين ابن قدامة يقول : دخلنا بغداد سنة ٥٦١ه فإذا الشيخ الإمام محي الدين عبد القادر ممن انتهت إليه الرئاسة بها علماً وعملاً وحالاً وافتاءاً وكان يكفي طالب العلم عن قصده غيره من كثرة ما اجتمع فيه من العلوم والصبر على المشتغلين وسعة الصدر وكان ملء العين وجمع الله فيه أوصافاً جميلة وأحوالاً عزيزة وما رأيت بعده مثله وكل الصيد في جوف الفراء (٣) . وكان يبذل أوقاتاً كثيرة في سبيل تعليم الناس الذين كانوا يحرصون على حضور دروسه على اختلاف مستوياتهم يقول ابنه عبد الوهاب : كان والدي رحمه الله يتكلم في الأسبوع ثلاث مرات بكرة الجمعة وعشية الثلاثاء وبالرباط بكرة الأحد وكان يحضره العلماء والفقهاء والمشايخ وغيرهم ومدة كلامه على الناس أربعون سنة أولها ٥٢١ه وآخرها ٥٦١ه ومدّة تصدره للتدريس والفتوى بمدرسته ٣٣ سنة أولها ٥٢٨ه وآخرها ٥٦١ه وكان يكتب ما يقول في مجلسه أربعمائة محبرة (٤). وأما ذكاؤه وفطنته وقدرته على حل المعضلات من الحوادث والمسائل فيشهد لذلك ما ذكره ابنه عبد الرزاق بقوله : جاءت فتوى من العجم إلى

بغداد فلم يتضح لأحد منهم فيها جواب شافٍ وصورتها : ما تقول السادة العلماء في رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لابَّد له ـــــــــ

---

(١) فتاوي ابن تيمية (٤٦٣/١٠).

(٢) المصدر نفسه (٤٨٨/١٠).

(٣) الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب (٢٩٤/١).

(٤) بهجة الأسرار للشطنوفي ص ٩٥.

ـــــــــ أن يعبد الله عبادة ينفرد بها دون جميع الناس في وقت تلبسه بها فيما يفعل من العبادات ؟ قال : فأتى بها إلى والدي فكتب عليها على الفور : يأتي مكة ويخلي له المطاف ويطوف أسبوعاً - أي سبعاً - وحده وتنحل يمينه قال : فمابات المستفتي ببغداد (١) ، وعندما ترجم له ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة قال : شيخ العصر وقدوة العارفين وسلطان المشايخ وسيد أهل الطريقة في وقته محي الدين أبو محمد صاحب المقامات والكرامات والعلوم والمعارف والأحوال المشهورة (٢) ويقول ابن الجوزي عنه : تكلم على الناس بلسان الوعظ وظهر له صيت بالزهد وكان له سمت وصمت وكان يجلس عند سور بغداد مستنداً إلى الرباط ويتوب عنده في المجلس خلق كثير (٣).

ثانياً : منهجه في توضيح العقيدة :

بين رحمه الله عقيدته بوضوح وكان كثيراً ما يردد في مجالس وعظه وحلقات دروسه عبارة : اعتقادنا اعتقاد السلف الصالح والصحابة (٤) ومن خلال دراسة مؤلفات الشيخ عبد القادر الجيلاني يلاحظ الباحث أن له منهجاً واضح المعالم في إيضاح القضايا التي يعالجها خصوصاً قضايا العقيدة يمكن تلخيصه فيما يلي :

١- عرضه للعقيدة بأسلوب بيان بليغ سهل العبارة : تجنح

حركة الإيقاع فيه إلى التوازي والتوازن وهو توازن مبعثه توازن حركة النفس والرغبة في الإيضاح بعيداً عن التعقيد والغموض ومثال ذلك تعريفه للإيمان (٥) : ونعتقد أن

الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وبالتوفيق يقع (٦) .

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة (٢٩٤/١).

(٢) المصدر نفسه (٢٩٠/١).

(٣) المصدر نفسه (٢٩١/١) الشيخ عبد القادر ص ٦٩.

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٤٢/٢٠) الشيخ عبد القادر ص ٦٢.

(٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص٧٠.

(٦) الغنية للجيلاني (٦٢/١).

٢- حرصه على عدم الخروج عن مدلول الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل - يدل على ذلك قوله : ولا تخرج عن الكتاب والسنة نقرأ الآية والخبر ونؤمن بما فيهما ونكل الكيفية في الصفات إلى علم الله عز وجل (١).

٣- يذكر الشيخ عبد القادر باستمرار أن عقيدته عقيدة السلف ويطلب من الله أن يميته على مذهب إمام أهل السنة والجماعة مثال ذلك قوله : قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رحمه الله وأماتنا على مذهبه أصلاً وفرعاً وحشرنا في زمرته (٢) ويقول : عليكم بالاتباع من غير ابتداع عليكم بمذهب السلف الصالح امشوا في الجادة المستقيمة (٣).

٤- رفض تأويل المتكلمين : وهذا واضح من كلامه - رحمه الله - حيث يقول في صفة الأستواء : وينبغي إطلاق صفة الاستواء من غير تأويل وأنه استواء الذات على العرض لا على معنى القعود والمماسة كما قالت المجسمة والكرامية ولا على معنى العلو والرفعة كما قالت الأشعرية ولا على معنى الاستيلاء الغلبة كما قالت المعتزلة لأن الشرع لم يرد بذلك (٤).

٥- الإمساك عما لم يرد ذكره في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من إثبات أو نفي (٥) . وهذا واضح جلي في قوله - رحمه الله : - ونعوذ بالله من أن نقول فيه وفي صفاته مالم يخبرنا به هو أو رسوله صلى الله عليه وسلم (٦) .

---

(١) الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ٧٢.

(٢) الغنية للجيلاني (٥٥/١).

(٣) الفتح الرباني، المجلس العاشر ص ٣٥.

(٤) الغنية للجيلاني (٥٦/١).

(٥) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٧٨.

(٦) الغنية للجيلاني (٥٧/١).

٦- إعراضه عن علم الكلام : من قواعد منهج الشيخ عبد القادر في إيضاح العقيدة إعراضه عن علم الكلام وعدم اعتماده عليه لأنه يرى أنه منشأ الضلالات التي وقع فيها القول ولذا نقل في كتابه الغنية قول الإمام أحمد رحمه الله : لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلاَّ ما كان في كتاب الله عز وجل أو حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أو عن أصحابه رضي الله عنهم عن التابعين فأما غير ذلك فإن الكلام فيه غير محمود فلا يقال في صفات الرب عز وجل كيف ولم ولا يقول ذلك إلا شاك (١).

فهذه هي أهم الجوانب البارزة في منهج الشيخ عبد القادر الجيلاني في إيضاح العقيدة (٢).

ثالثاً : من آراء الشيخ عبد القادر الجيلاني الاعتقادية :

١- الإيمان : قال الشيخ عبد القادر : ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان (٣). وقال في موضع آخر : الإيمان قول وعمل : فالقول دعوى والعمل هو البينة، والقول صورة والعمل روحها (٤).

- زيادة الإيمان ونقصانه : ونعتقد أن الإيمان قول باللسان ومعرفة بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية (٥) وقد استدل على ذلك بقوله تعالى : " فأما الذين ءامنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون " (التوبة : ١٢٤) وقوله تعالى : " وإذا تليت عليهم ءاياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون " (الأنفال، آية : ٢) وقوله : " يستيقن الذين أُوتُوا الكتاب ويزداد الذين ءامنوا إيماناً " (٦) (المدثر، آية ٣١).

---

(١) المصدر نفسه (٥٦/١).

(٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ٨٢.

(٣) الغنية للجيلاني (٦٢/١).

(٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٨٩.

(٥) الغنية للجيلاني (٦٢/١).

(٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ٩٢.

- **الفرق بين الإيمان والإسلام** : قال الشيخ عبد القادر : وأما الإسلام فهو من جملة الإيمان وكل إيمان إسلام وليس كل إسلام إيماناً. وقد استدل بقوله تعالى : "قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم " (الحجرات ، آية :١٤) وبحديث مجيء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسؤاله عن الإسلام والإيمان، والإحسان (١).

٢- حكم مرتكب الكبيرة : نحى الشيخ عبد القادر منحى أهل السنة والجماعة من أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الملة وأنه فاسق بمعصيته واقع تحت المشيئة في الدار الآخرة إن شاء الله عذّبه وإن شاء رحمه وأنه لا يكفر بها إذا مات على التوحيد (٢) حيث يقول : ونعتقد أن من أدخله الله النار بكبيرته مع الإيمان فإنه لا يخلد فيها بل يخرجه منها لأنه النار في حقه كالسجن في الدنيا يستوفى منه بقدر كبيرته وجريمته ثم يخرج برحمة الله تعالى ولا يخلد فيها (٣) . ويقول في موضع آخر : ونعتقد أن المؤمن وإن أذنب ذنوباً كثيرة من الكبائر والصغائر لا يكفر بها وإن خرج

من الدنيا بغير توبة إذا مات على التوحيد والإخلاص بل يرد علمه إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة وإن شاء عذبه وأدخله النار فلا يدخل بين الله وبين خلقه مالم يخبرنا الله بمصيره (٤) .

---

(١) البخاري رقم ٥٠ البغي (٦٢/١).

(٢) الغنية للجيلاني (٦٥/١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٠٥.

(٣) المصدرنفسه (٦٥/١) المصدر نفسه ص ١٠٥.

(٤) المصدر نفسه (٦٥/١).

٣- توحيد الربوبية : أشار الشيخ عبد القادر إلى أن معرفة الله فطرية وأن النفس مقرة له بعبوديتها، وأن ذلك الإحساس نابع من داخل النفس البشرية (١) . قال رحمه الله : النفس بأجمعها تابعة لربها موافقه له إذ هو خالقها ومنشؤها وهي مفتقرة له بالعبودية (٢) وأشار إلى النظر إلى الآيات الكونية المبثوثة في الأنفس والآفاق والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد المعرفة الفطرية (٣) فيقول : " أما معرفة الصانع - عز وجل - بالآيات والدلالات على وجه الاختصار فهي أن يعرف ويتيقن أن الله واحد أحد، فرد صمد " الله الصمد * لم يلد ولم يولد* ولم يكن له كفواً أحد " (٤) ، " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " (الشورى، آية : ١١) لا شبيه له ولا نظير، ولا عون ولا ظهير، ولا شريك ولا وزير، ولا نَّد ولا مشير (٥) . والمسلم وإن كان في فطرته معرفة الله عز وجل - لكنه بالنظر والتفكر في مخلوقاته سبحانه يزيد إيمانه ويقوي يقينه في خالقه عز وجل (٦)، والشيخ عبد القادر - رحمه الله - يؤكد هذا المعنى في مكان آخر فيقول : استدل بصنعة الله عليه تفكر في الصنعة، وقد وصلت إلى الصانع، المؤمن المؤقن العارف له عينان ظاهرتان، وعينان باطنتات فيرى بالعينين الظاهرتين من خلق الله في الأرض، ويرى بالعينين الباطنتين ما خلق الله في السموات (٧) .

ويقول كذلك : أول ما ينظر العاقل في صفة نفسه وتركيبه ثم في جميع المخلوقات

والمبدعات فيستدل بذلك على خالقها ومبدعها؛ لأن في ذلك دلالة على الصانع، وفي القدرة المحكمة آية على الحكيم (٨).

---

(١) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١١٦.

(٢) فتح الغيب للجيلاني المقالة العاشرة ص ٢١.

(٣) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١١٦.

(٤) سور الإخلاص الآيات ٢-٤.

(٥) الغنية للجيلاني (١/٥٤).

(٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١١٦.

(٧) الفتح الرباني للجيلاني المجلس الثالث ص ١٦.

(٨) فتوح الغيب للجيلاني مقالة ٧٤ص ١١٣.

٤- **توحيد الألوهية** : تناول الشيخ عبد القادر الجيلاني لهذا النوع من التوحيد، ذكر أن الواجب على من أراد الدخول في دين الإسلام أن يتلفظ بكلمة التوحيد، وأن يتبرأ من كل دين غير الإسلام معتقداً بقلبه وحدانية الله (١) ، فيقول : والذي يجب على من يريد الدخول في دين الإسلام أولاً أن يتلفظ بالشهادتين لا إله إلا الله محمد رسول الله، ويتبرأ من كل دين غير دين الإسلام ويعتقد بقلبه وحدانية الله تعالى (٢) وفي مكان آخر يتحدث عما دعا الله خلقه إليه من توحيده وطاعته وما حذّرهم منه وخوَّفهم وزجرهم من الشرك به والوقوع في معصيته (٣) فيقول : وقد دعا الله خلقه إلى توحيده وطاعته بالوعد والوعيد والترغيب والترهيب فحذَّر وأنذر وخوَّف وزجر إعذاراً لهم وتأكيداً للحجة عليهم (٤) . وبين الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - أن مجرد النطق بكلمة التوحيد من غير امتثال الأمر وترك النهي غير مقبول ولا يستفيد منه الإنسان فيقول : إذا قلت لا إله إلاَّ الله فقد أدعيت. فيقال لك : ألك بينة ؟ والبينة امتثال الأمر والانتهاء عن النهي والصبر على الآفات والتسليم إلى القدر هذه بينة الدعوى (٥).

٥- شروط قبول العبادة : وقد قّر الشيخ عبد القادر الجيلاني ضرورة توفر الإخلاص والمتابعة في العبادة وبين أن مجرد النطق بالشهادتين وأداء الأعمال التي تقتضيها لا يكفي إلا بعد تحقق الشرطين (٦) ، يقول : إذا عملت هذه الأعمال - يعني الاتيان بالأوامر وترك النواهي - لا تقبل منك إلا الإخلاص فلا يقبل قول بلا عمل، ولا عمل بلا إخلاص وإصابة السنة (٧).

---

(١) الشيخ عبد القادر ص ١٢٨.

(٢) الغنية للجيلاني (٢/١).

(٣) عبد القادر الجيلاني للقحطاني ص ١٢٩.

(٤) الغنية للجيلاني (١٤٦/١) عبدالقادر الجيلاني ص ١٢٩.

(٥) الفتح الرباني المجلس الثاني ص ١٠.

(٦) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٣٤.

(٧) الفتح الرباني للجيلاني ص ١٣٤.

ويقول في موضع آخر : وجميع ما ذكرناه من صيام الأشهر والأضحية والعبادات، من الصلاة والأذكار وغير ذلك مما سنذكر - إن شاء الله - لا يقبل إلا بعد التوبة وطهارة القلب وإخلاص العمل لله تعالى وترك الرياء والسمعة (١) . ثم يستشهد على وجوب الإخلاص بقول الله تعالى : " وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين " (البينة، آية : ٥) وقال سبحانه "ألا لله الدين الخالص" (الزمر، آية : ٣). ثم ساق بعض أقوال أهل العلم في تعريف الإخلاص فنقل عن سعيد بن جبير قوله : الإخلاص أن يخلص العبد دينه لله وعمله لله تعالى، ولا يشرك به في دينه ولا يرائي بعمله أحداً كما نقل عن الفضيل بن عياض قوله : ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك والإخلاص هو الخوف من أن يعاقبك الله عليهما (٢) ، وقد حذَّر كثيراً من الرياء والعجب وذلك لخطورته على دين العبد ولسهولة وقوع الإنسان فيه فقال : ينبغي لكل متعبد عارف أن يحذر في جميع أحواله من الرياء ورؤية الخلق والعُجب

فإن النفس خبيثة وهي منشأ الأهواء المضلة والشهوات المردية واللذات الحائلة بين العبد وبين الحق عز وجل. ثم ساق الأدلة على تحريم الرياء منها قوله تعالى : "فويل للمصلين* الذين هم عن صلاتهم ساهون * الذين هم يراءون * ويمنعون الماعون " (الماعون ، الآيات : ٤ - ٧) ويوصفه عز وجل للمنافقين " إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصَّلاة قامو كسالى يُراءُون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً * مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً " (النساء، الآيات ، ١٤٢ - ١٤٣). كما استشهد من السنة بأحاديث صحيحة منها قوله : يلقى الرجل في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدار به كما تدور الرحى بصاحبها فيقال له : أليس كنت تأمر بالمعروف وتنهي عن ـــــــ

---

(١) الغنية للجيلاني ٠٢/٦٦) الشيخ عبد القادر ص ١٣٤.

(٢) الغنية للجيلاني (٢/٦٧) الشيخ عبد القادر ص ١٣٥.

ـــــــ المنكر، فيقول : كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه (١).

٦- من أنواع العبادة :

أ- الدعاء : من أعظم أنواع العبودية الدعاء والالتجاء لله تعالى لأن معاني العبادة والخضوع والتذلل والفقر والاحتياج تبدو واضحة جلية في الدعاء والدعاء لا يكون إلا لله وحده، ولذلك توعد الله المستكبرين عن دعائه بالدخول في النار وبئس القرار (٢) قال عز وجل : " وقال ربكم أدعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين (٣) " وقد ذكر الشيخ عبد القادر الجيلاني - رحمه الله - بعض الآداب التي يجب مراعاتها عند الدعاء فقال : والأدب في الدعاء أن يمد يديه ويحمد الله ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته (٤).

---

(١) مسلم رقم ٢٩٨٩ الغنية للجيلاني (٢/٦٨).

(٢) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٣٨.

(٣) المصدر نفسه ص ١٣٨.

(٤) الغنية للجيلاني (١/٤٠).

ب- التوكل : وهو أصل من أصول العبادة وهو من سمات المؤمنين الصادقين قال عز وجل " إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم ءاياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون " (الأنفال ، آية : ٢) وقد عرف الشيخ عبد القادر حقيقة التوكل بقوله : حقيقته الإخلاص وحقيقة الإخلاص ارتفاع الهمة عن طلب الأعواض على الأعمال وكذلك التوكل هو الخروج من الحول والقوة مع السكون إلى رب الأرباب (١) وهو يعنى بذلك عدم الاعتماد على حول الإنسان وقوته وإمكانياته وإنما يعتمد ويسكن إلى ربه تبارك وتعالى وحوله وقوته ولكن لا يعني بذلك ترك الأسباب وعدم الأخذ بها بل يدعوا إلى إعطاء الأسباب حقها وذلك بالأخذ بها وعدم تجاهلها، ثم التوكل بعد ذلك على الله سبحانه حيث يقول : إعط السبب حقه وتوكل واقعد على باب العمل (٢) . وذلك أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله عز وجل، فإن الله عز وجل كما أمر بالاعتماد عليه والتوكل عليه وحده أمر بالأخذ بالأسباب فقال مخبراً عن عيسى بن مريم وهو يخاطب أمه : " وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطباً جنيّاً " (مريم ، آية : ٢٥) إذ كان في قدرته سبحانه أن ينزل الرطب من غير أن تقوم مريم بهز الجذع (٣) ، وأيضاً أخبر - عز وجل - أن يعقوب - عليه السلام - قال لبنيه : " لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون " (يوسف، آية : ٦٧) فمع توكله على الله - عز وجل - أمر أولاده بالأخذ بالسبب وهو التفرق عند الدخول حتى لا يصابوا بالعين الحاسدة (٤)، أو يلفتوا الانتباه عند دخول مصر. وعند الترمذي من حديث أنس بن مالك أن رجلاً قال النبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو

---

(١) بهجة الأسرار للشطنوفي ص ١٢٢.

(٢) الفتح الرباني للجيلاني، المجلس الخمسون ص١٦٧.

(٣) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٤١.

(٤) المصدر نفسه ص ١٤١.

أطلقها وأتوكل ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إعقلها وتوكل (١).

ج- الخوف والرجاء : وهذان من أنواع العبادة التي أمر الله بها وأثنى على المؤمن المتحلي بها قال عز وجل في الخوف " ولمن خاف مقام ربه جنتان " (الرحمن، آية : ٤٦) وقال في الرجاء " إن الذين ءامنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم " (البقرة ، آية :٢١٨). وقد تحدث الشيخ عبد القادر عن الخوف والرجاء فقال : من غلب رجاؤه خوفه تزندق، ومن غلب خوفه رجاؤه قنط والسلامة في اعتدالهما (٢) ، وهذا الاعتدال يوافق ما قاله الإمام أحمد بن حنبل" ينبغي للمؤمن أن يكون رجاؤه وخوفه واحداً (٣) وأما حجم الخوف وقدره فيحدده ابن القيم - بأنه : ما حال بين صاحبه وبين محارم الله - عز وجل - فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط، ويذكر أنه سمع ابن تيمية يقول : الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله (٤)، وعن الرجاء يؤكد ابن القيم - أن " من رجا شيئاً استلزم رجاؤه ثلاثة أمور : الأول محبة ما يرجوه والثاني خوفه من فواته والثالث سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأن الرجاء الذي لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والله سبحانه وصف أهل السعادة بالإحسان مع الخوف ووصف الأشقياء بالإساءة مع الأمن (٥) .

---

(١) سنن الترمذي رقم ٢٥١٩ وقد حسنَّه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٠٦٨.

(٢) الفتح الرباني للجيلاني المجلس الخامس والعشرون ص ٩١.

(٣) مسائل الإمام أحمد لابن هاني تحقيق الشاويش (١٧٨/٢).

(٤) الشيخ عبد القادر الجيلاني ص ١٤٤ مدارج السالكين (٥١١/١).

(٥) الجواب الكافي لابن القيم ص ٤٦.